

الفصل الثالث

علاقة أسواق فاس بالأسواق الخارجية

- ١ - أسواق فاس وأسواق مدن المغرب الأقصى
- ٢ - أسواق فاس وأسواق مدن المغرب الأوسط
- ٣ - أسواق فاس وأسواق مدن المغرب الأدنى
- ٤ - أسواق فاس وأسواق مدن مصر والحجاز
- ٥ - أسواق فاس وأسواق مدن الأندلس والدول النصرانية
- ٦ - أسواق فاس وأسواق مدن السودان الغربي

ارتبطت أسواق مدينة فاس بالأسواق الخارجية ارتباطاً وثيقاً منذ بداية الحكم المريني ، ساعد على ذلك حرص سلاطين بنو مرين على توطيد صلاتهم السياسية مع الدول المعاصرة . فتنشطت السفارات المرينية مع دول المغرب الأوسط و الأدنى والأقصى والأندلس ومصر والسودان الغربي والدول النصرانية (قشتالة وميورقة وفرنسا) ، وقد أسهمت هذه السفارات في دعم العلاقات التجارية بين فاس وبين سائر أسواق هذه الدول المعاصرة.

كما تدعمت العلاقات التجارية بين أسواق فاس وغيرها بفضل جهود سلاطين الدولة المرينية الذين قاموا بتوفير الأمن والاستقرار للطرق البرية والنهرية والبحرية ، وبفضل هذه الجهود قضوا على القرصنة التي تتعرض للقوافل التجارية سواء بالبر أو النهر والبحر، كما حفروا الآبار على هذه الطرق مما ساعد على قيام شبكة تجارية آمنة كان لها الأثر الأكبر في ازدهار أسواق مدينة فاس ، وجعلها تنبض بالحياة التجارية باستمرار . وقد ساعدت هذه الروابط التجارية على وصول أهم السلع التي يحتاج إليها سكان هذه المدينة في حياتهم كالذهب والرقيق والنحاس وغيرها من السلع التي جعلت من أسواق فاس الأهم بين أسواق مدن المغرب الأقصى .

وسوف نعرض في هذا الفصل العلاقة بين أسواق فاس وأسواق المغرب الأقصى ، وأسواق فاس والمغرب الأوسط ، وأسواق فاس والمغرب الأدنى وأسواق فاس وأسواق كل من مصر والسودان الغربي والأندلس ، وأهم السلع التي كان يتم تبادلها بين هذه الأسواق .

١- أسواق فاس وأسواق المغرب الأقصى

فرض المريّنون سيطرتهم على سائر المغرب الأقصى^(١) عام ٦٦٨هـ/١٢٦٩م مما ساعد على التواصل التجاري بين أسواق المغرب الأقصى وأسواق مدينة فاس أعان على ذلك موقع هذه المدينة. فقد احتلت مدينة فاس موقعا استراتيجيا بفضل وقوعها عند ملتقى طريقين رئيسيين أولهما يبدأ عند شواطئ البحر المتوسط عبر طنجة وسبتة وبانيس القديمة ويمتد عبر الصحراء مجتازا سهل سايس بمدينة فاس ، وسلسلة الأطلس الأوسط والكبير ثم يسير محاذيا لوداي زير الى واحة تافيلالت . والطريق الثاني يبدأ من المحيط الأطلسي متجها إلى المغرب الأوسط ، وتقع فاس عند تقاطع هذين الطريقين الرئيسيين^(٢).

لقد أتاح سهل فاس الذي يدعى سهل السايس فرصة كبيرة لمدينة فاس لزراعة كميات كبيرة من المحاصيل والفواكه ، فكان يزرع بمساحات كبيرة من الحبوب والفاكهة فساعد ذلك على وفرة الانتاج الزراعي بأسواق فاس فأعطى للمدينة فرصة للاتصال بالمحيط الأطلسي وموانيه مثل المعمورة والعراش^(٣) .

وقد ربطت الطرق التجارية بين أسواق فاس وأسواق المغرب الأقصى ، فالطريق من مدينة سبتة لمدينة فاس يستغرق ستة أيام كما يذكر البكري ، ويحددها ياقوت الحموي والعمرى بعشرة أيام ، ومن خلال سبتة ارتبطت فاس بمدن الشمال الغربي^(٤) . فوجد طريق من مدينة سبتة إلى فاس وطريق بين فاس وسلا يقدر بأربع مراحل^(٥) .

*المغرب الأقصى : وهو يمتد من وادي ملوية شرقا حتى منية اسفى على المحيط الاطلسي غربا وجبال درن جلوبا وحدوده الشمالية فهي البحر الرومي (البحر المتوسط) للمزيد انظر ابن خلدون:مصدر سابق ج٦ ، ص ١٠٠ ، ابن القتيبة : مختصر كتاب البلدان ، طبع مدينة ليدن ابريل ، ١٣٠٢هـ ، ص ٨١ ، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٩٦ ، ص ١٣ .

(١) ماجدة كريمة: العلاقات التجارية ، ص ١٧١ .

(٢) ابن الخطيب: نفاضة الجراب ، ص ٣٢٧ ، الوزان: مصدر سابق ، ج١ ، ص ١٦٥ ، المقرئ: مصدر

سابق، ج٣ ، ص ٣٧٨ ، مارمول: مصدر سابق ج١ ، ص ٤٨٩ ، المنوني: ورقات ، ١٤٩ .

(٣) البكري : مصدر سابق ، ص ١١٥ ، ياقوت للحموي : مصدر سابق ج٣ ، ص ١٨٣ .العمرى : مصدر

سابق ، ص ١١٤ .

(٤) ياقوت الحموي : معجم البلدان ج١٠ ، ص ٢٣١ ، الوزان: مصدر سابق ، ص ٢١٣ .

تعد مدينة سبتة بحكم موقعها محطة للسفر والتجارة فأصبحت مركزا لتصرف السلع التي يجلبها التجار من جميع الأقطار.^(١) كما تعد هذه المدينة أيضا الرئة التي يتنفس بها المغرب الأقصى ومحطة تربط بين إفريقيا وأوروبا لهذا نجد سفن نابولي وجنوة ومرسلية محملة بمختلف السلع تتقاطر على ميناء سبتة ذهابا وإيابا .^(٢)

هكذا مدينة سبتة بفضل موقعها ارتبطت بشبكة من المراسي الساحلية ، ساعدت بالطبع على الاتصال بكل مدن الشمال الغربي من طنجة إلى الريف وسواحلها . كما كانت لها خطوط اتصال عديدة مع أقطار البحر المتوسط الواقعة شمالا وخاصة الأندلس والمدن الواقعة جنوب هذا البحر.^(٣) وبهذا الأمر ساعد الطريق الذي يربط بين فاس وسبتة في اتصال المدينة الأولى بالمدن الساحلية الواقعة على البحر المتوسط بالإضافة الى الأندلس .

ومن مدينة سبتة يأتي إلى أسواق فاس التين والذي لم يكن نوعا واحدا ولكنه ثمانية وعشرين نوعا ، بالإضافة إلى الكروم والسكر والعمود ومعدن الكبريت ، والكبوت الكتاني الذي يأتي بكثرة لاسواق مدينة فاس .^(٤)

ويأتي من سبتة العنب وهو نوعان واللوز أربعة أنواع من أحدهما المر، والزيتون ثلاثة أنواع والتوت نوعان أبيض وأسود والقراصيا ثلاثة أنواع فهي كانت محط القوافل التجارية.^(٥)

(١) للمدني : نخبة الدهر في عجايب البر والبحر ، تحقيق ميكائيل بن يحيى ، المانيا ، ١٩٢٣ ، ص ٢٣٥ ،
العمرى : مصدر سابق ، ص ٩١ ، أمين الطيبي : مرجع سابق ، ص ١٧٠ .

(٢) ماجدة كريمى : مرجع سابق ، ص ١٦٦ ، أمين الطيبي : النشاط الاقتصادي العلمي بمدينة سبتة المغربية
القرن الثامن الهجري - الرابع عشر الميلادي ، ص ١٧٠ .

(٣) حسين مراد : القاضي عياض (دراسة في النشأة والتكوين العلمي) مجلة الدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ،
معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، العدد ٢٦ ، سنة ٢٠٠٤ ، ص ١٦ .

(٤) السبتي : اختصار الأخبار ، ص ١٤ ، ٩٢ ، المراكشي : المعجب ، ص ٢٤٢ ، العمرى : مصدر سابق ، ص
٩١ ، القلشندى : مصدر سابق جـ ٥ ، ص ١٥٧ ، الوزان : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٢٤٨ ، مارمول :
مصدر سابق جـ ٢ ، ص ٢١٥ ، المنونى : ورقات ، ص ١٤٩ .

(٥) السبتي : مصدر سابق : ص ٥١ ، ٥٥ ، ٧١ .

وبفضل موقع سبته البحري عمل الأغلبية من السكان في الصيد البحري، وتعددت أنواع الأسماك التي يتم اصطيادها وبلغت نحو مائة نوع ، واشتهرت أيضا باستخراج شجر المرجان وهو من أفضل الأنواع ، وكان يصنع منه خرزا ويصدر إلى أسواق مدينة فاس وسائر الأسواق الأخرى . ويأتى من سبته إلى فاس قويريات (أواني لطاف) والأدوات النحاسية. ^(١) ويأتى إلى أسواق فاس العسل من بنى تاودا وقصر عبدالكريم والشمع من الريف. ^(٢)

وقد توافد تجار فاس إلى كافة أسواق المدن المغربية لبيع سلعهم وجلب سلع يحتاجون إليها ، فتجار مدينة فاس وصلوا إلى مدينة مكناسة وجلبوا منها بالزيتون والعنب . ويذكر ابن الخطيب انتشار زراعات الزيتون والعنب فى مكناسة وتعدد أصناف تلك الزراعات . ^(٣) لهذا أطلق عليها المؤرخون مكناسة الزيتون وذلك لكثرة الزيتون ، ويكثر بها أيضا الأجاصى والعنب و يوجد منه نوعان الأبيض والأسود. ^(٤) كان التجار القادمون من فاس يقومون بشراء حب زيتون بحيرة مكناسة بخمسة وثلاثين ألف دينار ، وأمدت مكناسة فاس أيضا بالعنب ^(٥)

وقد ارتبطت مدينة فاس بالعديد من مدن جنوب المغرب الأقصى ، فكان هناك طريق يبدأ من فاس ويتجه جنوبا إلى مدن أغمات - مراكش - السوس الأقصى - نول لمطة والمسافة بين فاس ومكناسة الزيتون اثني عشر ميلا ، أو مسيرة يوم كامل وبين فاس وأغمات ثمانية عشر مرحلة. ^(٦)

(١) حسين مراد: مرجع سابق، ص ٢٠. أمين الطيبي : مرجع سابق ، ص ١٦٩ ، ١٧٣ .

(٢) السبتي : اختصار الأخبار ، ص ٩٤ . التادلي : التثوف ، ص ٣٣١ .

(٣) الزهري : مصدر سابق ، ص ١١٥ ، ابن الخطيب : نفاضة الجراب ، ج ٢ ، ص ٣٧٣ . ابن سعيد : كتاب الجغرافيا ، ص ١٤١ ، الحميري : مصدر سابق ، ص ٥٤٤ .

(٤) الاستبصار : مصدر سابق ، ص ١٨٧ ، ابن غازي : مصدر سابق ، ص ٥٧ ، مجهول : الحلل الموشية ، ص ١٤٦ ، الوزان : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٦٩ .

(٥) الوزان : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٦٩ ، لوطورنو : فاس قبل الحماية ، ص ٦٤٠ .

(٦) البكري : مصدر سابق ، ص ١٦١ ، الإدريسي : مصدر سابق ، ص ٢٢٧ ، الحميري : مصدر سابق ، ص ٥٤٤ ، المراكشي : المعجب ، ص ٣٥٩ ، ابوالفداء : مصدر سابق ، ص ١٣١ .

وطريق آخر من فاس إلى أغمات ومراكش وسجلماسة عبر تارودانت* (١) وبين فاس ومراكش عشرة أيام ، وبين فاس وأغمات ثمان عشر مرحلة ، وفاس - سجلماسة ثلاثة عشر مرحلة (٢) وهناك طريق آخر يبدأ من فاس ويتجه إلى سجلماسة مروراً بصفرو ، ويعتبر هذا الطريق من أهم الطرق التجارية ومن مدينة فاس إلى صفرو مرحلة واحدة (٣)

تستمد مدينة سجلماسة أهميتها بكونها منطقة انتاج مهمة ووقوعها في مفترق الطرق التجارية البعيدة المدى فهي تراقب وتغذى تجارة القوافل ، وتعتبر إحدى النهايات الرئيسية لطرق القوافل التجارية الصحراوية (٤)

ومن مدينة سجلماسة يأتي إلى أسواق فاس سلع عديدة منها الشب الأبيض والحناء والكمون والكرويا والقطن والعنب الذي يمتاز بجودته ، واشتهرت سجلماسة أيضاً بأنواع نادرة من التمر أشهرها نوع اسمه إرارة لا يوجد في أية مكان آخر (٥) وجد بسجلماسة نوعان من العنب الظلي لأنه يجفف في الشمس والعنب العذاري والعسلى وهو لا نوى له . ولديهم أفضل أنواع التمر حيث كان يسمى باليرارى (٦)

-
- (١) المراكشي : رسائل موحدية ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، أبو الفداء : مصدر سابق ، ص ١٣٥ .
 • تارودانت : حاضرة بلاد السوس الأقصى ، وهي مدينة عامرة وكثيرة الفواكه وتشتهر بزراعة قصب السكر للمزيد انظر الإدريسي : مصدر سابق ، ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .
 (٢) ابن حوقل : مصدر سابق ، ص ٩٠ ، أبو الفداء : مصدر سابق ، ص ١٢٣ ، العمري : مصدر سابق ، ص ١١٤ ، القلقشندي : مصدر سابق ج ٥ ، ص ١٦٣ .
 (٣) البكري : مصدر سابق ، ص ١٤٦ ، عبد العزيز العلوي : فاس والتجارة الصحراوية ، ص ٥٨ .
 (٤) ناصح محمد : جوانب من الحياة ، ص ٤٦٢ . ماي كول : الروايات التاريخية ، ص ٦٢ .
 (٥) البكري : مصدر سابق ، ص ١٤٨ ، الإدريسي : مصدر سابق ، ص ٣٨ ، الاستبصار : مصدر سابق ، ص ٢٠١ ، الحميري : مصدر سابق ، ص ٣٠٦ . بان على محمد البياتي : النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن (٣-٥هـ / ٩-١١م) رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات ، ٢٠٠٤ ، ص ٧٧ .
 (٦) البكري : مصدر سابق ، ص ١٤٨ ، ابن الزيات : التشوف ، ص ٣٠٧ ، الحميري : مصدر سابق ، ص ١٣٥ .
 ٣٠٥ ، القلقشندي : مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ١٥٩ .

ومن السلع التى كانت تأتي من سجلماسة لفاس الصوف والذى يسمى باليرارية وهو من أجود أنواع الصوف .^(١) وبجانب ذلك صدرت سجلماسة النحاس والرصاص والكحل والعنبر والشب .^(٢)

وكانت الحناء تأتي من أسواق سجلماسة ودرعة وكان الصناع يستخدمونها فى صبغة المنسوجات بأسواق مدينة فاس ، واستعملتها النساء لتخضيب شعورهن والرجال لتخضيب اللحي، استعملت أيضا كدواء لصداع الرأس . وصدرت سجلماسة أيضا الفيلج الذي يكسب المنسوجات لونا أزرقا باهتا .^(٣)

وفى صفرو ودرعه تنمو شجرة التالكوت التى استخدمت فى صبغ الجلود ، كما حصنت أسواق فاس على الفضة من قلعة بن تادلة .^(٤)

ومن أغمات وماسة يأتي الكروم والتين والأرز ، والأبقار والحبوب والعنبر والسكر واللوز والجوز إلى أسواق فاس فكان التجار الفاسيون يقومون بشراء العنب من ماسة* ويقومون ببيعه للبرتغاليين.^(٥)

(١) اليعقوبى : كتاب البلدان ، بغداد ١٨٩١ م ، ص ١١٠ ، البكري : مصدر سابق ، ص ١١٧ ، ١٤٧ ، ابن سعيد : كتاب الجغرافيا ، ص ١٢٤ ، الحميري : نفس المصدر ، ص ٣٠٦ ، العمري : مصدر سابق ، ص ٢٩٨ ، الوزان : مصدر سابق جـ ٢ ، ص ١٣١ .

(٢) القلقشندي : مصدر سابق جـ ٥ ، ١٥٧ ، مصطفى نشاط : إطلاقات ، ص ٨٧ .

(٣) ابن سعيد : كتاب الجغرافيا : ص ١٧٧ ، المراكشي : الإقليم بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام ، جـ ١ المطبعة الملكية الرباط ، ١٩٧٤ ، ص ٢٧٣ البادسي : المقصد الشريف والمنزع اللطيف فى التعريف بصلحاء الريفي ، تحقيق سعيد إعراب ، الرباط ١٩٨٢ ، ص ٥٩ ، التادلى : التثوف ، ص ٢٢٥ . محمد الطويل : الفلاحة المغربية ، ص ١٨٢ .

(٤) الزهري : مصدر سابق ، ص ١١٥ ، الاستبصار : مصدر سابق ، ص ٢٠٧ .

* ماسة : مدينة صغيرة على البحر تحمل إليها التجارات وهى قريبة من أغمات . للمزيد انظر اليعقوبى : كتاب البلدان ، ص ٣٦٠ .

(٥) ياقوت الحموي : مصدر سابق جـ ١ ، ص ٢٢٥ ، الإدريسي : مصدر سابق ، ص ٢٢٧ ، ابن سعيد : كتاب الجغرافيا ، ص ١٢٣ ، الحميري : مصدر سابق ، ص ٤٦ ، ٤٧ ، ٣٣٠ ، التادلى : مصدر سابق ، ص ٤١٣ ، البغدادي : مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، جـ ١ ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ٩٨ ، محمد الطويل : الفلاحة المغربية ، ص ١٦٤ ، ١٦٨ .

ويأتي لأحياء مدينة فاس غنب زالغ وزيتون التغات ومغيلة ويحمل منها أحمالا من الزبيب إلى فاس يومياً .^(١) والبرانس المصنوعة فى نول لمطة وهى -غالية الثمن ، فالزوج منها يساوى خمسين دينارا وتسمى بالسفارية .^(٢) واختص تجار نول لمطة بصناعه الجلود وتجارها وخاصة الدرق اللمطية ، فالجلود والملح من أهم السلع التي كانت تصل أسواق مدينة فاس .^(٣) فالتجار الفاسيون ظلوا على اتصال وثيق بمدن صفرو ، وتازا ووزان .^(٤)

أما بالنسبة إلى السوس الأقصى والذي يمتد من جنوب وادى سوس إلى بلاد لمطة ، فالمسافة بين فاس والسوس الأقصى ثلاثين مرحلة ، فكان يصدر الى أسواق مدينة فاس السكر السوسى بالإضافة إلى الشب والنحاس المصبوغ والعاج والأبنوس ودرق اللط والعبيد المجلوبين من السودان الغربي .^(٥)

ويصل من السوس إلى أسواق فاس زيت ارجان والعمل والجوز واللوز .^(٦) والتمر وأشجار النيلة .^(٧) والثياب السوسية والتي تضم الثياب القطنية والصوفية التى تنسج بمدينة سجماسة وهى من أجود الأنواع .^(٨)

(١) الوزان : مصدر سابق ، ص ٢٤٧ ، محمد مزين : فاس وباديتها ، ص ٤٩ : ٦٣ .

(٢) الادريسي : مصدر سابق ، ص ٣٧ ، السبتي : اختصار الأخبار ، ص ٩٤ ، الحميري : مصدر سابق ، ص ٥٨٤ ، التادلى : التشوف ، ص ٣٣١ ، ٣٤٨ .

(٣) الادريسي : مصدر سابق ، ص ٢٢٣ ، الاستبصار : مصدر سابق ، ص ١٢٣ ، ابن سعيد : بسط الأرض ، ص ٢٣٤ ، الحميري : مصدر سابق ، ص ٥٨٤ ، الوزان : مصدر سابق ج ٢ ، ص ٢٦٣ .

(٤) الوزان : مصدر سابق ، ص ١٦٩ .

(٥) الاضطخري : مصدر سابق ، ص ١٤٦ ، الزهري : مصدر سابق ، ص ١١٧ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٧٤ ، ابن خلدون : مصدر سابق ج ٦ ، ص ٢٠١ ، التادلى : مصدر سابق ، ص ٣٤٨ ، الاستبصار : مصدر سابق ، ص ٢١١ . القشغالي نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن القرن الحادي ، نشر هوادس ، الرباط ، ص ١٦٠ . حسن حفطى علوي : النشاط التجاري بسجماسة وعلاقته بمجالها القروي ، ضمن ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب ، ص ٣٥ . محمد الطويل : الفلاحة المغربية ، ص ١٦٨ .

(٦) الزهري : مصدر سابق ، ص ١١٨ ، ١١٩ . ابن الفقيه : مصدر سابق ، ص ٨٤ .

(٧) الادريسي : مصدر سابق ، ص ٣٩ ، الاستبصار : مصدر سابق ، ص ٢١٢ ، الحميري : مصدر سابق ، ص ٣٢٩ ، ٣٣٠ .

(٨) الاستبصار : مصدر سابق ، ص ١١٩ ، بان على محمد : مرجع سابق ، ص ٧٧ .

وصدرت مراكش السكر، وقد احتوت على أربعين معصرة للسكر ، كما صدرت أيضا زيت الزيتون فكان من أجود وأرخص وأطيب الأنواع .^(١)

كانت مدينة فاس تصدر العديد من السلع الهامة لأسواق مدن المغرب الأقصى ، ومنها المنسوجات المطرزة والصوفية والقطنية والكتانية والحريرية ، والبرانس المديونية.^(٢) والمصنوعات الحديدية كالسكاكين وركاب الخيول والفخار الفاسي والأدوات والحلي الزجاجية.^(٣)

٢- أسواق فاس وأسواق المغرب الأوسط

ارتبطت مدينة فاس بصلات تجارية وثيقة مع العديد من مدن المغرب الأوسط ، وساعد على ذلك وجود شبكة من الطرق التجارية البرية او البحرية . ويوضح لنا الجغرافيون أن المسافة بين تلمسان حاضرة تلك البلاد وفاس تسع مراحل .^(٤) فالمسالك من فاس إلى وجدة وتلمسان كانت تمر عبر ممر تازة مما ساعد على ربطهما .^(٥)

حكم الزيانيون بتلمسان المغرب الأوسط وهم جزء من زناته من بني وسين ، من البدو واحتلوا إقليما كبيرا وصل إلى جبال الأوارس ، وعقب الغزوة الهلالية في القرن الخامس الهجري كان عليهم أن يهاجروا إلى السهول العليا في أوران ، ومع غزو الموحدين بدأ حظ بني زيان في الصعود وتعاونوا مع الموحدين .^(٦)

(١) مجهول : الاستبصار ، ص ٢١٠ ، الحميري: مصدر سابق ، ص ٥٤١ ، العمري : مصدر سابق ، ص ١١٤ ، ابن سعيد: الجغرافيا ، ص ١٢٥ ، المنوني ورفقات ، ص ٣٠٠ ، إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ج ٢ ، ص ١٢٩ .

(٢) الحميري : مصدر سابق ، ص ١٢٩ ، عبد العزيز العلوي : صناعة النسيج ، ص ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٥ ، فاس والتجارة ، ص ٢٦٥ ، بان علي : مرجع سابق ، ص ٧٧ .

(٣) الحميري : مصدر سابق ، ص ٤٦ الجزنائي : مصدر سابق ، ص ٤٤ .

(٤) الحميري: مصدر سابق ، ص ٤٦ ، الجزنائي : مصدر سابق ، ص ٤٤ .

(٥) ابن عذاري : مصدر سابق ، ص ١٥٤ ، هوبكنز: النظم الإسلامية في القرون الوسطى ، ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

(٦) حنساء طرابلسي : الزيانيون في تلمسان والحفصيون في تونس ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، ضمن كتاب ابن خلدون والبحر المتوسط ، ص ٨٩ .

وفى عام ٦٣٣هـ / ١٢٣٢م ورث أبى يحيى بن زيان قيادة جميع فروع الأسرة عن أخيه (٦٣٠-٦٤٠هـ / ١٢٤٢، ١٢٣٢م. عانت تلمسان من الهجمات التي شنها ملوك بنو مرين عليها خلال عهد السلطان أبو يعقوب يوسف المرينى (٦٨١- ٧٠٣هـ / ١٢٨٢- ١٣٠٧) وخلال الحملة الخامسة فى عهد السلطان أبى الحسن ٧٣٧هـ / ١٣٣٧ م استولى المرينيون على كل ولايات المملكة ، وفرضوا حصارا على العاصمة وبني السلطان المرينى مدينة أخرى وأطلق عليها تلمسان الجديد .^(١) والراجح إن خضوع تلمسان لسلطان بنى مرين شجع على دفع حركة التجارة بين فاس وتلمسان وغير ذلك من مدن المغرب الاوسط .

كان يصل لأسواق مدينة فاس التمر من منطقة بسكرة والزاب بالجنوب الجزائرى وتلمسان ، والعنب المستطيل القبلى البالغ الحلاوة والعنب المستطيل العسلى الذى لا يوجد فى أكثره نوى ويستخرج منه الزبيب ، وإلى جانب ذلك الجوز واللوز .^(٢)

ومن أهم المدن مدينة بجاية^(٣) والتي تم التبادل التجارى والسفارات بينها وبين مدينة فاس، فأهلها مياسير تجار وبها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى الصحراء.^(٤) ومن أهم السلع التي تصل من بجاية إلى مدينة فاس الشمع وبجانب الشمع العبيد حيث أنها كانت سوقا هاما للعبيد ، وكان السوق يقع بحومة المذبح وبيع فيها العبيد السود .^(٥)

^(١) ابن خلدون : مصدر سابق جـ ٧ ، ص ٢٥٤ ، حسناء طرابلسى : مرجع سابق ، ص ٨٨ : ٩٠ ، عبد الحميد حاجيات : أبو حمو موسى الزينى حياته وآثاره ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٤م ، ١٣٩٤ ، ص ٢١ .
^(٢) البكرى : مصدر سابق ، ص ١١٨ ، الادريسي : مصدر سابق ، ص ٤٠ ، ٤١ ، العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١١ ، ابوالمحسن : النجوم الزاهرة جـ ٣ ، ص ٦٠ ، ٦١ ، صالح بعيزيق : بجاية فى العهد الحفصى ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، جامعة تونس ١٩٩٥ ، ص ٢١٢ .

^(٣) بجاية : تقع فوق سطح جبل مطل على البحر المتوسط على خليج مفتوح على البحر ، فأتاح لها ذلك الميناء مكانا لرسو السفن . للمزيد انظر الإدريسي : مصدر سابق ، ص ١٧٨ ، الحميري : مصدر سابق ، ص ٨١ ، المقري : مصدر سابق ، جـ ١٠ ، ص ١٢٩ .

^(٤) الادريسي : مصدر سابق ، ص ١٧٨ .

^(٥) ابن القاضى : درة الحجال فى أسماء الرجال ، جـ ٢ ، تحقيق محمد الأحمدى أبو النور ، مطبعة السنة المحمدية القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ١٠١ ، عاشور بوشامة : مرجع سابق ، ص ١٨٩ .^١

٤- أسواق فاس وأسواق المغرب الأدنى

قاعدة المغرب الأدنى مدينة تونس ^(١) وقد قامت الدولة الحفصية ^(٢) بالمغرب الأدنى واتخذت من مدينة تونس عاصمة ، ويعتبر أبو زكريا الحفصي (٦٢٥-٦٤٧هـ / ١٢٢٨-١٢٤٩م) أول من أسّس بالإمارة من بني حفص . ^(٣)

قام تجار مدن المغرب الأدنى بتبادل السلع التجارية مع تجار مدينة فاس فمن مدينة قفصة ^(٤) تم تصدير الفستق إلى أسواق فاس . أما مدينة جربة ^(٥) فاشتهرت بالفتحاح وصدرته . ومن طبرقة ^(٦) وصل إلى أسواق فاس العسل والقطران والمرجان ، والتين الذي يتميز بكبر حجمه وحلاوة مذاقه . كما تم بيع العمائم السوسية التي كانت تأتي من مدينة قابس إلى أسواق فاس . ^(٧) ويأتي معدن الكبريت من برقة إلى أسواق مدينة فاس . ^(٨)

(١) الاستبصار : مصدر سابق ، ص ١١٠ .

(٢) الدولة الحفصية : هي امتداد لدولة بني عبد المؤمن الموحدية ، فكانوا فرعاً من الموحدين وينتمون إلى الشيخ أبو حفص يحيى بن عمر الهنتاني ، شيخ قبيلة هنتانة أحد بطون مصمودة التي قامت على أكتافها دولة الموحدين فورثت الدولة الحفصية كل ممتلكات الدولة الموحدية في أفريقية ، للمزيد انظر أبو عبد الله بن الشماخ : الأدلة البنية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية ، تحقيق الطاهر بن محمد المعموري ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٨٤ ، ص ٥٨ ، ٥٤ .

(٣) محمود إدريس على بك : طرابلس الغرب منذ الهجرة الهلالية الى بداية العهد العثماني ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة اسكندرية ١٩٩٨ ، ص ٣٢٠ .

(٤) قفصة : مدينة كبيرة كان لها سور عظيم من صخر جليل ، ولها أربعة أبواب ويكثر بها العيون والنخيل والزيتون وجميع انواع الفواكه ، وهي اكثر البلاد فستقا . للمزيد انظر البكري : مصدر سابق ، ص ٤٧ ، الإدريسي : مصدر سابق ، ص ١٠٤ .

(٥) جربة : هي جزيرة في بحر افريقية اقرب بلادها إليها قابس ، وطول جربة ستون ميلا من المغرب إلى المشرق ، وهي ذات نخيل وكروم . للمزيد انظر الحميري : مصدر سابق ، ص ١٥٨ .

(٦) طبرقة : حصن على ساحل البحر وفيها آثار لأول وبنيان عجيب وهي عامرة لكثرة تردد التجار عليها . للمزيد انظر : الحميري : مصدر سابق ، ص ٣٨٧ .

(٧) الاصطخرى : مسالك الممالك ، ص ٣٤ ، البكري : نفسه ، ص ٤١ ، الإدريسي : مصدر سابق ، ص ١٢١ ، ١٧٦ ، القلقشندي : مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ١٠٤ .

(٨) العمري : مصدر سابق ، ص ٧٩ .

ومن أهم السلع التي كانت تصدر إلى مدينة فاس النباتات العطرية وصناعات البلور والشمع. ^(١) كما وصلت إلى أسواق مدينة فاس مواد خام كالأصواف والجلود والنحاس والشب والملح والرصاص والمرجان والتمر من بلاد الجريد. ^(٢) بالإضافة إلى الجلود التي كانت تأتي من غدامس ولجوبته أطلق عليه الجلد الغدامسي * . ^(٣)

ومن أفريقية الفستق والزعفران واللوز والانطاع ، ومن سرت الشب السرتي ومن صفاقس زيت الزيتون فهو من أجود الأنواع ، والصدف الصفاقسي ^(٤) وهو يستخرج من البحر ويعرف بوبر السمك أو صدف السمك يستعمل في صنع الثياب الفاخرة . والدمش والبردي وريش النعام والعطور. ^(٥)

ومن فاس يجلب التجار التوابل والمواد الطبية ، والقمح والعنبر والأنسجة والأقمشة والورق والخشب والأسلحة والمجوهرات والعبيد . ^(٦)

(١) برنشفيك : تاريخ أفريقية في العهد الحفصي من القرن ١٣ إلى نهاية القرن ١٥ م ، نقله حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ج ١ ، ط ١ ، ١٩٨٨ ، ص ٤٥٨ .

(٢) القلقشندي : مصدر سابق ، ج ٧ ، ص ٣٧٦ ، برنشفيك : مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٤٦٠ .

* بلاد الجريد : تقع على طرف الصحراء في أفريقية وسميت بذلك الاسم لكثرة النخيل بها وهي واحات خصيبة كثيرة الفواكه والثمار . للمزيد انظر الاستبصار : مصدر سابق ، ص ١٥٠ .

(٣) البكري : مصدر سابق ، ص ١٥٢ ، المراكشي : المعجب ، ص ٢٤٢ .

* غدامس : مدينة قديمة أزيلت تقع على نهاية حدود تونس وليبيا في الجنوب وهي خصيبة عامرة وأكثر طعام أهلها التمر والكمأة . للمزيد انظر الحميري : مصدر سابق ، ص ٤٢٧ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٦ ، ص ٢٦٨ ..

(٤) الصدف الصفاقسي : هو نوع يستخرج من قصر البحر وهو على شكل جنور البصل وعندما يجف يظهر نوعا من الصوف يمشط ويغزل ويتخذ لحمه لأقمشة ملمسها كالحرير . للمزيد انظر القلقشندي : مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ١٠٤ ، ١٤٢ .

(٥) البكري : مصدر سابق ، ص ٤٧ المراكشي : مصدر سابق ، ص ٤١١ ، الاستبصار : مصدر سابق ، ص ١٥٤ ، أمين الطيبي : جوانب من النشاط ، ص ٢٣٢ ، حسن حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، دار الجنوب للنشر تونس ٢٠٠١ ص ١١ ؛ محمد إسماعيل : الوزارة في أفريقية في عهد الدولة الحفصية (٦٢٦ - ٩٨٢ هـ / ١٢٢٧ - ١٥٧٤ م) رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الزقازيق ٢٠٠٩ ، ص ١٩٨ .

(٦) برنشفيك : مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٤٦٠ . عاشور بوشامة : مرجع سابق ، ص ٤٠٥ ، ٤٠٦ .

٤- أسواق فاس وأسواق مصر والحجاز

ربط الطريق الساحلي للبحر المتوسط بين مدينة الاسكندرية ومدينة فاس ، فالطريق يبدأ من الإسكندرية مروراً ببرقه وطرابلس ، ثم القيروان ومنها إلى صفاقس ومنها للمهدية وسوسة ثم تونس وقسطنطينة ثم بجاية ومنها إلى وهران وتلمسان وصولاً إلى مدينة سبتة ثم إلى فاس .^(١)

وقد تطورت العلاقات بين الدولة المملوكية^(٢) والدولة المرينية عن طريق السفارات والمراسلات المتبادلة بين حكام تلك الدولتين ودعم الحج تلك العلاقات .

فمنذ بداية الدولة المرينية في عهد السلطان أبي يعقوب تم توجيه سفارة عام ٧٠٠هـ / ١٣٠١م كانت محملة بالهدايا للسلطان محمد بن قلاوون (٦٩٣- ٧٤١هـ / ١٢٩٣- ١٢٤١م) كان بها أنواعاً وأصنافاً من الذخائر والخيل والبغال وحمل الهدايا فقية المغرب أبو الحسن التتسي.^(٣)

وأرسلت سفارة أخرى في ربيع الأول عام ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م ، فأمر السلطان أبو يعقوب بإنتساخ مصحف رائع الصنعة واستكثر فيه من معالق الذهب المنظم بخرازات الدرر

(١) شوقي عبد القوى حبيب : التجارة بين مصر وأفريقيا في عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠-١٥١٧ م / ٦٤٨-٩٢٢هـ) المجلس الأعلى للثقافة ، سنة ٢٠٠٠ ، ص ٦٥ ، ٦٧ .

(٢) الدولة المملوكية : حكم المماليك مصر والشام ، وانقسموا إلى قسمين مماليك بحرية (٦٤٨-٧٩٢هـ / ١٢٥٠-١٢٩٠م) وهم الذين اشتراهم الصالح نجم الدين أيوب وبني لهم قلعة في جزيرة الروضة فعرفوا بالمماليك البحرية، ومماليك الجراكسة نسبة إلى أصولهم التي ينتمون إليها. للمزيد انظر محبى الدين بن عبد الظاهر: تشریف الأيام والمصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، راجعه محمد على النجار، دار الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة ، سنة ١٩٦١ ، ص ٣٦ ، ٣٧ ، المقرئزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج٢ ، مكتبة المتنبى ، بغداد ، ١٢٩٤هـ ، ص ٢٣٦ .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ج ١ ، مطبعة الشعب ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ١٠٨ ، ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ١٢٥ ، عبد الهادي التازي : التاريخ الدبلوماسي ، ج ٢ ص ٢٠١ ، رضوان بن شقرون : من مظاهر العقيدة والسلوك عند المغاربة في العصر المريني ، مجلة المناهل ، العدد ٣٤ ، السنة ١٣ ، الدار البيضاء ، ١٩٨٦ ، ص ٨٣ ، عبدالرحمن زكى : بناء القاهرة في ألف عام ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر ، المكتبة الثقافية ، د.ت ، القاهرة ، ص ٤٣ .

والياقوت لصاحب مكة وكان السفير المحمل بالهدايا للسلطان محمد بن قلاوون هو علاء الدين ايدغى الشهرزورى^(١) وكانت الهدايا عبارة عن أربعمئة من الخيل العرب واربعمائة من المطايا .^(٢)

قام السلطان الناصر محمد بن قلاوون بإرسال وفد للسلطان المرينى ابي يعقوب عام ٧٠٦هـ / ١٣٠٦ م ، حمل هدية للسلطان المرينى عبارة عن ثيابا وفيلًا وزرافة وحيوانات نادرة . فالسفارات المرينية المصرية ساعدت على التواصل التجارى خلال فترة الحكم المرينى لمدينة فاس .^(٣)

وقد أوضح لنا ابن مرزوق تفصيليا الهدايا التى أرسلها أبو الحسن إلى السلطان المملوكي " أما الأحجار فمنها الياقوت والزبرجد والزمرد : فمائة وثمانية وعشرون حجر من الدباني العجيب " .

أما أحجار الزبرجد: فثمانية وعشرون . وأما الجواهر النفيس الفاخر المقدار فثلاثمائة وأربع وستون حبة " .^(٤) لم تكن هناك أي فواصل بين فاس والقاهرة فالعلاقات ظلت قائمة بين سلاطين المماليك وسلاطين بنى مرين .

ثم توجهت سفارة اخرى من السلطان أبى الحسن المرينى عام ٧٣٨ هـ على أثر فتح مدينة تلمسان عام ٧٣٨ هـ / ١٣٢٧ م ، وقامت حظيت والدة أبى الحسن باصطحاب هدية عظيمة

^(١) علاء الدين ايدغى الشهرزورى : وصل المغرب هاربا أيام الملك المملوكي الظاهر ركن الدين بيبرس العلانى البندقدارى الصالحى النجمى (٦٥٨-٦٧٦هـ / ١٢٦٠-١٢٧٧م) إلى السلطان يعقوب وبعد وفاة السلطان يعقوب قربه السلطان يوسف وجعله وزيرا له . للمزيد انظر المقرئى : السلوك ، القسم الأول ، جـ٢ ، ص ٩ .

^(٢) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، جـ٤ ، ص ٤٦ ، ابن تغردى بردى النجوم الزاهرة جـ٨ ، ص ٢١٥ ، ابن خلدون : مصدر سابق جـ٧ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، المقرئى : مصدر سابق ، جـ٢ ، ص ١٥ ، محمد المنونى : علاقات المغرب بالشرق في العصر المرينى الاول ، دعوة الحق ، العدد ٥ ، السنة ٨ ، مارس ١٩٦٥ ، ص ٦٣ ، ٦٤ . عبد الوهاب التازى : مرجع سابق ص ٢٢٠ .

^(٣) ابن خلدون : مصدر سابق جـ٧ ، ص ٢٢٧ ، عبد الهادي التازى : مرجع سابق جـ٢ ، ص ٢١٤ : إبراهيم حرركات : المغرب عبر التاريخ ، جـ٢ ، ص ٧٨

^(٤) ابن مرزوق : مصدر سابق ، ص ٤٥٢ . محمد المنونى : ورقات ، ص ١٨٠ ، ١٨١ .

للسلطان المملوكي نزل لحملها ثلاثون قطارا من بغال النقل وضمت اربعمائة فرس وسيف من الذهب مرصع ولجم مسقطة بالذهب والفضة ، وثيابا وبرانس ومعاطف مطرزة بخطوط من الذهب ، وازرا معلمة وغير معلمة ومن نسج الحرير الفائق المعلم بالذهب الصافي والأواني النحاسية ، وجلد لمطى مائتان ومن الجمال سبعمائة ، ومجموعة من الحيوانات الأليفة والصقور ، ومجموعة من الأبنوس والعاج ، وقدرت هذه الهدية بما يزيد على مائة الف دينار .^(١) فالعلاقة بين مجمل الناصر وأبو الحسن المريني توضح مدى التبادل الاقتصادي القائم بين مصر المملوكية والدولة المرينية .

وكان لقوافل الحج دور كبير في ربط العلاقات بين المغرب ومصر والحجاز، فقد كانت التجارة الخارجية القائمة بينهم قد حملت كثيراً من المنتجات المرينية لمصر والحجاز وعادت بمنتجات مشرقية .^(٢)

فالصناعات المصرية كان لها رواج كبير في أسواق المغرب وخاصة مدينة فاس ومن أهم الصناعات صناعات المنسوجات الكتانية الرقيقة التي كان يصنع منها الملابس و العمامات ويعمل بها الخمر والأقمشة المطرزة بالذهب والحرير .^(٣)

واشتهرت مدينة تنيس بتصدير المنسوجات المعروفة بالبوقلمون ، والإسكندرية الثياب الرفيعة ، وبجانب ذلك صدرت مصر الأواني الخزفية والزجاجية .^(٤)

(١) ابن مرزوق : المسند ، ص ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، المقري : مصدر سابق جـ ٦ ، ص ١٣٨ ، القلقشندي : صبح الأعشى جـ ٧ ، ص ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، محمد المنوني : ورفات ، ص ١٩٢ ، ١٩٣ محمد المنوني : علاقات الغرب بالشرق أيام السلطان أبي الحسن المريني ، مجلة الأبحاث المغربية والأندلسية ، العدد الأول ، تطوان ، سنة ١٩٥٦ ، ص ١٢٠ : ١٢٣ ، إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، جـ ٢ ، ص ٧٨ . جمال احمد طه : دور ميناء الإسكندرية وموانئ دول المغرب الإسلامي في ربط العلاقات المصرية المغربية خلال القرنين السابع والثامن الهجريين ، جامعة جنوب الوادي ، ص ٣٤ ، ٣٥ .

Marius(c); op, cit,p,p, 55:59.

(٢) محمد عيسى الحريري : مرجع سابق ، ص ٢٩٥ ، نوطورنو : مرجع سابق ، ص ٥٠

Marius (c) : Miscellanea Orientalia , p. 462

(٣) احمد مختار العبادي : التأثير المتبادل بين الإسكندرية والمغرب ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، المجلد السابع والعشرون ، مدريد ، سنة ١٩٩٥ ، ص ٧١ . ارشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ص ٣٢٦ .

كانت مدينة فاس تصدر عدداً كبيراً من السلع إلى أسواق مصر منها العنبر والبلور الصخري والنحاس والقطران والذهب، وخامات الحرير والصوف والرقيق والفسق والجوز واللوز والفاكهة والعسل والمواد العطرية وزيت الزيتون والحنطة والسמיד.^(٢)

٥- أسواق فاس وأسواق الأندلس والدول النصرانية

ازدهرت العلاقات الاقتصادية بين بني مرين والأندلس حيث بدلت الأسواق الأندلسية تنمو وتغزو الأسواق المغربية ، فوصلت الأيدي العاملة والأندلسية وعمل عدد كبير من المرتزقة النصارى^(٣) في النشاط التجاري في المغرب أيام الدولة المرينية وكانت مدينة قرطبة مركزا تجاريا مهما في المال التجاري الأندلسي ، وأصبحت مدينة فاس جزءا من مجال التجارة الأندلسية، حيث وجدت الصلات الاقتصادية بين أسواق مدن الأندلس وأسواق مدينة فاس .^(٤)

عمل سلاطين بنو مرين على تأمين التجارة الداخلية والخارجية ، فقام السلطان أبو يوسف ابن يعقوب (٦٥٦-٦٨٥هـ / ١٢٥٨-١٢٨٦م) بفرض شروط تجارية على سانشو ملك

(١) ارشيبالد لويس : مرجع سابق ، ص ٣٢٦ ، نجلاء مصباح : مدن مصر الصناعية والتجارية في العصر الأيوبي ، رسالة ماجستير غير منشورة معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، ٢٠٠٦ ، ص ٢٥٠ .

(٢) النويري: نهاية الأرب ، السفر ١٢ ، ص ٢٠ ، غنفي محمود : الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب ، دار الفكر العربي ، ط ٢ ، القاهرة ٢٠٠٢ ، ص ٢٠٨ . Marius (c): op. cit, p.55:65.

(٣) المرتزقة النصارى : يرجع وجودهم بالمغرب المريني بعد سوء تفاهم بينهم وبين حكامهم ، ومنهم قزمان الذي توترت علاقته مع ملك قشتالة الفونس العاشر وانضم هو وخمسين من أصدقائه لخدمة السلطان المريني أبي يوسف فضمهم في صفوف جيشه . للمزيد انظر : مصطفى نشاط : الارتاق المسيحي بالدولة المرينية . ضمن كتاب الغرب الاسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس ، تنسيق محمد حمام ، رقم ٤٨ ، ط ١ ، سنة ١٩٩٥ ، ص ١٢١ .

(٤) حسين مؤنس : وصف جديد لقرطبة الإسلامية ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد ، المجلد الثالث عشر ، ١٩٦٥-١٩٦٦ ، ص ١٦٤ ، أوليفيا ريمي كونسابل : التجارة والتجار في الأندلس ، تعريب فيصل عبد الله ، مكتبة العبيكان ، ص ٣٧ : ٧٦ . Dufourcq: op cit,p371 .

قشتالة^(١) بعد هزيمة جيوشه بمنطقة شريش عام ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م^(٢) وقد نصت على عدم الاعتداء على التجار المسلمين بقشتالة ورفع الضرائب عنهم .^(٣)

ساعدت المعاهدات المبرمة مع الأطراف النصرانية كجنوة والبندقية ومارسليا على نمو أسواق فاس وقيساريته ، وتميز هذا العصر بتوثيق الصلات مع فرنسا وأسبانيا في الميدان التجاري ، بجانب الجمهوريات الإيطالية ، وقد أهدى أحد الجنوبيين عام ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م إلى السلطان أبى يعقوب يوسف شجرة مذهبة تغرد على أغصانها عصافير صناعية بحركات ميكانيكية .^(٤)

قام السلطان أبو الحسن المريني (٧٣١-٧٥٢هـ / ١٣٣١-١٣٥١م) بعقد معاهدين تجاريين مع وفد من مملكة ميورقة وأرغون^(٥) عام ٧٣٩هـ / ١٣٣٩م ، ومن خلالهما يسمح لرعايا ميورقة بالتجارة بالمغرب ، وعلى سلطان ميورقة توفير الأمن للتجار المسلمين ، ولحد من الحيل التي قامت بها الدول القطالونية بجلب حوالي ٧٠ ك جرام ذهب من المغرب إلى أوروبا.^(٦)

(١) قشتالة: تسمى القلاع اطل عليها المسلمون القلاع نظرا لكثرة قلاعها واعتبرها المسلمون إقليما فاصلا بينهم وبين أراضي النصارى الأسبان في الشمال ، ومن مننها برغش وإمابة . للمزيد انظر ابن الأبار : الحلة السيرة ، ج ١ ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٢) شريش : من كور شذوفة بالأندلس ، بينها وبين قلشانة خمسة وعشرون ميلا على مقربة من البحر يكثر بها شجر الكروم وشجر الزيتون والتين . للمزيد الحميري : مصدر سابق ، ص ٣٤٠ .

(٣) ابن أبى زرع : الانيس ، ص ٣٥٩ ، ابن خلدون : مصدر سابق ج ٧ ، ٤٣٣ .

(٤) السلاوى: الاستقصا ج ٣ ، ص ٧٤ ، إبراهيم حركات : الاقتصاد المريني ، ص ١٣٥ ، عبد الهادي التازي : التاريخ الدبلوماسي ، ص ١٧١ .

(٥) أرغون : هو اسم بلاد غربية بن شانجة وتشتمل على بلاد ومنازل وأعمال كثيرة ، للمزيد انظر الحميري : صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٢ .

(٦) ابن الحاج : فيض العباب ، ص ١٠٠ ، محمد المنوني : ورقات ، ص ١٤٣ ، عبد الهادي التازي : مرجع سابق ، ص ١٩٤ .

ومع بداية حكم أبي عنان المريني للدولة المرينية (٧٤٩ - ٧٥٩ هـ / ١٣٤٨ - ١٣٥٨ م) عقد عدد من المعاهدات لضمان الحركة التجارية للمغرب ، حيث عقد صلحا مع ملك أرجون برדרو الرابع مدته أربعة عشر شهراً ، وهو يضمن حرية السفر والمتاجرة لرعايا الدولتين .^(١)

أرسل ملك البرتغال وفد إلى السلطان أبي عنان عام ٧٥٧ هـ / ١٣٥٨ م ، كما أرسل ملك قشتالة هدية عبارة عن بغال وطلب منه عقد معاهدة صلح ، وأيضا صاحب موقرة طلب الصلح ، وعقد معاهدة مع جنوة للحد من عمليات القرصنة وتحديد نوعية الضرائب المفروضة على التجار الجنوبيين بالموانئ المغربية كل ذلك كان له اثره في التعاملات التجارية .^(٢)

وبموجب المعاهدة التجارية التي عقدها السلطان أبو عنان عام ٧٥٧ هـ / ١٣٥٨ م مع البيزيين صار وكلاء الشركات الميورقية والقطالونية والجنوية موجدین بمدينة فاس.^(٣) أعطت هذه المعاهدات امتيازات كثيرة للدول الأوروبية مما أثر على التجارة المرينية .

اشتهرت الأندلس بصناعة المنسوجات الحريرية واحتلت مكانه كبيرة في المجتمع الاندلسي ، ومن أهم هذه المدن التي اشتهرت بالمنسوجات الحريرية المرية^(٤) Almeria

(١) ابن الحاج: مصدر سابق ، ص ١٠١ ، ١٠٢ Los Documents Arabs ;p.205-206

(٢) ابن الحاج: المصدر السابق ص ١٠٠ ، محمد المنوني : وراقات ، ص ١٤٣ . عبد الهادي التازي : مرجع سابق، ص ١٨٣ . مصطفى نشاط : إطلاقات ، ص ١٥٧٤ Los Documents ;op,p.211.

(٣) عبد العزيز العلوي : علاقة التجارة الصحراوية بالتجارة البحرية في المغرب المريني ، كلية الآداب والعلوم الانسانية، المغرب ، ص ٢٦٧ Dufourcq:cit.p.143

(٤) المرية: المرية هنية مرية ، بحرية برية ، محط التجار ، وبلد الكتان والأعشاب والزيتون والرخام ، فهي مدينة كبيرة جنوب شرق الأندلس ، فتعتبر قاعدة الاتصال الاقتصادي بين أوروبا والمغرب الأقصى ، بنيت عام ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م ، على يد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر ، وسقطت في يد الأسبان عام ١٤٩٠ م / ٨٩٥ هـ فهي تسمى مريء الدم . للمزيد انظر الاريسى : مصدر سابق ، ص ٥٦٢ ، الحميري : مصدر سابق ، ص ١٨٣، ١٨٤، ٥٣٧ ابن الخطيب : معيار الاختيار ، ص ١٠٠ ، ابن الفدا: تقويم البلدان ، ص ١٨٦ . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ص ١٩٩ .

قرطبة Cordaba لقتت^(١) Alcamte واشبيلية Sevilla^(٢) وغرناطة^(٣) ومالقة Malaga^(٤) ودلاية Delias^(٥)

حملت إلى أسواق مدينة فاس عدد كبير من السلع الأندلسية ، حيث اشتهرت الأندلس بإنتاج الرخام والخزف فالرخامة التي وضعت بمسجد القرويين بفاس كانت من الأندلس فكانت تكثر

(١) لقتت : هي إحدى مدن الأندلس على الساحل وبينها وبين دانية سبعون ميلا، وهي مدينة صغيرة عامرة وبها فواكه من تين وأعناب وبها سوق ومسجد جامع وقصبة منيعة . للمزيد انظر الحميري : صفة جزيرة العرب ، ص ١١١ .

(٢) اشبيلية : المدينة المنبسطة ، وهي عامرة ويكثر بها شجر الزيتون والتين ، وأجود أنواع القطن وقصب السكر للمزيد انظر الحميري : مصدر سابق ، ص ١٤ .

(٣) غرناطة : معناها الرمانة ، فهي الشعار التاريخي لها تقع في واد عميق ، التين والأعناب والقسطل والجوز، أصبحت عاصمة لبني الأحمر ، ومن أشهر مساجدها مسجد غرناطة الجامع ، ومن آثارها قصر الحمراء للمزيد انظر ابن الخطيب : معيار الاختيار ، ص ٩٩ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢١٦ ، ابتسام سالم : مدن لها تاريخ ، سلسلة إصدارات الفلق الالكترونية ، (٢) ص ٧ .

(٤) مالقة : هي مدينة ساحل البحر المتوسط ، جنوب شرق الأندلس يرجع تأسيسها للفنقيين عام ١٢٠٠ ق.م ، وتشتهر بالأسماك المملحة ، ويوجد بها أنواع كثيرة من اللقاقة ، ولها شهرة واسعة في صناعة الفخار والمصنوعات الجلدية والحجرية . للمزيد انظر المقرئ : مصدر سابق ج ١ ، ١٨٦ ، باقوت الحموي : مصدر سابق ج ١٧ ، ص ٣٦٧ ، القلقشندي : مصدر سابق ج ٥ ، ص ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٥) دلاية: هي من إحدى القرى التابعة لولاية المربة ، ويوجد بها الحرير والملح والأغنام. للمزيد انظر ابن الخطيب معيار الاختيار ، ص ٩٩ .

الادريسي : مصدر سابق ، ص ٢٠٢ ، الحميري: مصدر سابق ، ص ٣٨ ، المقرئ : مصدر سابق ج ١ ، ص ١٨٧ ، ج ٤ ، ص ٢٠٧ ، محمد احمد أبو الفضل : تاريخ المربة الأندلسية في العصر الإسلامي دراسة في التاريخ السياسي والحضاري ، دار المعرفة الجامعية ، إسكندرية ، ١٩٩٦ ، ١٧٠ ، أمل ربيع : مصدر سابق ، ص ١١٤ ، ريكاردو كوردوبا دي لالاف الصناعات المتوسطية في القرن الرابع عشر ، ترجمة إسحاق عبيد، ضمن كتاب ابن خلدون البحر المتوسط في القرن الرابع عشر قيام وسقوط إمبراطوريات ، مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٧ ، ص ٢٤٦ .

الفنون الخزرفية فوجد بمدينة فاس آنية مصنوعة من الخزف استخدمه باعة الحليب يسمى بالمايورقي أو المالقي وكان الأكثر انتشاراً في الاستعمال^(١).

وصدرت الأندلس لأسواق مدينة فاس الأحجار الكريمة المعادن كالياقوت الأحمر والمرجان ، والذهب والفضة والعاج والقصدير ، والزئبق والكبريت الأحمر وأيضاً معدن الكحل ، والبلور والزليج والعاج .^(٢)

اشتهرت الأندلس بتصدير كميات كبيرة من زيت الزيتون إلى مدينة فاس الذي كان يحمل من مدينة اشبيلية ، وكانت تصدر الاواني والتحف الزجاجية ، والفخار المذهب. ولكثرة مصانع الطراز باشبيلية وقرطبة ، قاموا بتصدير كميات كبيرة من الأقمشة المقصبة والمصممة لصنع الأردية التي تلبس في الاحتفالات بمدينة فاس .^(٣)

كانت السفن الأندلسية وخاصة الآتية من اشبيلية تحمل بعض السلع من حبوب وأنواع من الغلات والطعام والفواكه كالخوخ والمشمش، ثم تعود بالتين والعنب والقطن وزيت الزيتون .^(٤)

انفردت مدينة شاطبة^(٥) وقرطبة بصناعة الورق التي ارتبطت بصناعة تسفير الكتب وتحولت من مجرد كسوة للكتاب إلى زخرفة وتلوين وتهذيب ، فوصل للمدن المغربية وأسواق

(١) الإدريسي : مصدر سابق ، ص ١٩٢ ، كولان : الأندلس ، ترجمة إبراهيم خورشيد وآخرون ، دائرة المعارف الإسلامية ، دار الكتاب المصري ، سنة ١٩٨٠ ، ص ١٧٥ ، ١٧٦ ، أمل ربيع : مرجع سابق ، ص ١٢١ ، ١٢٢ .

(٢) أمين الطيبي : مرجع سابق ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٣) العنزي: ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والممالك ، المعهد المصري للدراسات الإسلامية مدريد ، ص ٩٥ ، ٩٦ ، الإدريسي : مصدر سابق ، ص ٢٣٩ ، الحميري : مصدر سابق ، ص ١٩ ، ابن مرزوق : مصدر سابق ، ص ٢٠٨ ، المقري : مصدر سابق جـ ١ ، ص ١٨٧ ، كولان : مصدر سابق ، ص ٩٩ ، ١٨١ ، عز الدين موسى مرجع سابق ، ص ٢٣٩ .

(٤) الحميري : مصدر سابق ، ص ١٩ ، ابن جبير : رحلة ابن جبير ، دار صادر ، بيروت ، ص ٩٧ ، التادلي : التشوف ، ص ١٦٩ ، كارمن تريولمان خوسية : الزراعة والطعام في القرن الرابع ، ترجمة إسحاق عبيد، مكتبة الإسكندرية ، ص ٣٠٦ . عادل سعيد بشتاوي : الأندلسيون المواركة ، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص ٧٢ .

(٥) شاطبة : هي من كورة بلنسية بمنطقة شرق الأندلس ، وهي مدينة جبلية حسنة يحيط بها الوادي ويعمل بها من الكاغد ما لا يوجد له نظير بمعمور الأرض ، ويعم المشرق والمغرب للمزيد انظر الإدريسي : مصدر سابق ، ص ١٩٢ ، الحميري : الروض المعطار ، ص ٣٣٧ ، محمد القاسي : الأعلام الجغرافية الأندلسية ، مجلة البيئة ، الرباط ، العدد ٣ ، ١٩٦٢ ، ص ٣٤ .

أخذت العلاقات الأندلسية ترتقي بصورة كبيرة فأسطيل الموائى الأندلسية اشبيلية ومالقة والمرية أصبحت تنقل الصناعات المختلفة من الأغذية والمطرزات والسجاد والمجوهرات المرصعة والجلود والورق . (٨)

وكان يصل إلى أسواق مدينة فاس كميات كبيرة من الحرير الخام من مدينة غرناطة التي كانت تنتج بكثرة . (٩) ومن مدينة مرسية آلات السفر والسكاكين وآلات العروس، ومن المرية زيت الزيتون فكانت مختصة بعصر الزيوت . (١٠) وإلى جانب ذلك الأحذية فوجد بمدينة فاس أنواع من الأحذية الأندلسية كالسباط وهو حذاء بدون كعب تبقى معه رقبة القدم مكشوفة . (١١)

كانت أسواق مدينة فاس مليئة بالسلع الأندلسية كالمنسوجات والزيوت ، والأحجار الكريمة الياقوت واللؤلؤ والعاج والفراء ، والمعادن كالزئبق والقصدير والرخام والخزف ، والعبيد ، والكومون والزعفران والبنين الاشبيلي فكان كبير الحجم ولونه أسود داكن . (١٢)

كان التجار الأندلسيون يأتون بسلع عديدة من أسواق مدينة فاس كالعبيد الزنوج ، وبعض المنتجات الزراعية مثل الفستق والتوابل ، وأيضا الأقمشة والمصنوعات اليدوية والذهب والفضة والعقاقير والعنبر، والصوف الخام . (١٣)

(١) الإدريسي: مصدر سابق ، ص ١٩٢، ابن سعيد :المغرب في حلى المغرب ، ج١ ص ٤٢٤ ، أمل ربيع: مرجع سابق ، ص ١٢١ ، ١٢٢ .

(٢) ليفي بروفنسال : حضارة العرب في الأندلس ، ترجمة نوقان قرقوط ، منشورات مكتبة الحياة ، ص ٥٩ . إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ص ٨٤ . ف . هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، ج٤ ، ترجمة احمد رضا محمد ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٩٤ ، ص ٢٢ .

(٣) ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ، ج٢ ، مطبعة الخانجي ، مصر والمثنى بفسداد ، ١٩٥٦ ، ص ٤٩٥ المقري: مصدر سابق ج١ ، ص ١٨٧ .

(٤) دوزي : مرجع سابق ، ص ٦٢٥ ، محمد مقر : مرجع سابق ، ص ١٨٨ .

(٥) أوليفيا : مرجع سابق ، ص ٢٢٣ : ٢٧٧ ، عبد الله العروى : مجمل تاريخ المغرب ، ج٢ ، المركز الثقافي العرب ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠ ، ص ٢٢٦ ، عادل بشتاوى : مرجع سابق ، ص ٧٤ .

(٦) عادل بشتاوى: مرجع سابق ، ص ٧٤ ، أوليفيا : مرجع سابق ، ٢٣٣ ، ٢٤٣ ، أمين الطيبي : مرجع سابق، ص ١٥٢ .

7 M.L . Demas Latrie: Trats de Paix et de Commerce,Les Arabs del' Afrique SePtentrionale,Paris, 1866, P 376

اكتسب البحر المتوسط في القرن الرابع عشر الميلادي ، الثامن الهجري دفعة حيوية من خلال التجارة مع بلدان الشرق من خلال طرق القوافل التجارية التي تصب في البحر المتوسط، فالقوافل كانت تصل لمدينة فاس التي كان بها جنسيات كثيرة من جنوبيين أو إيطاليين ، وقطالونيين وقشتاليين وبرتغاليين . (١)

وقد وفرت مدينة فاس فنادق خاصة للتجار الأوروبيين وأقاموا بها كافة المرافق الضرورية للإقامة . (٢) وجدت بأسواق مدينة فاس أنواع عديدة من الأقمشة ، منها قماش الكامبري (Cambray) وهونسيج الكتان الأبيض الدقيق الناصع ويأتي من منطقة Cambrai شمال فرنسا، والأقمشة الكتانية والحريرية والتي كانت تأتي من جنوة إلى أسواق مدينة فاس وجدت القطنية الأرجوانية . (٣)

كان لظهور قوة بيزة وجنوة البحرية والاقتصادية في شطري البحر المتوسط أثراً واضحاً على سير التجارة الأوروبية ، فحمل تجار المدينتين بضائع عديدة من أسواق فاس من ذهب وخبول وزيت الزيتون ، والأقمشة الكتانية ومواد الصباغة كالزعفران واللاك والعطور والمسك والتوابل وخاصة الفلفل ، والتين المجفف ولوانى نحاسية وملح النشادر وجلود الماعز . (٤)

سيطر الجنويون والبنادقة والقطالونيون على حركة التجارة بين ثغور البحر المتوسط فكانوا يتقننون جميع الأنشطة التجارية . (٥)

(١) فيليبوسولا: البحر المتوسط المركز الحيوي للقرن الرابع عشر ، ترجمة إسحاق عبيد ، ضمن كتاب ابن خلدون البحر المتوسط في القرن الرابع عشر قيام وسقوط إمبراطوريات ، مكتبة الإسكندرية ، ٢٠٠٧ ، ص ٤٦:٤٨ .

² Dufourcq ; OP , Cit, p. 70.

(٣) الوزان: مصدر سابق جـ ١، ص ٩٧، مارمول: مصدر سابق جـ ٢، ص ١٧٥ ، المقري: مصدر سابق جـ ٢، ص ٢٢٣ ، أمين الطيبي: جولت من النشاط الاقتصادي في المغرب في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي من خلال رسائل جنيزة القاهرة ، جـ ٢ ، ص ١٣٩ ، محمد مقر: مرجع سابق ، ص ١٥٦، ١٥٧ .

Millas (J.M):Vallicrosa,"ELCultivo Del Algodon en la Espana arabe,Bolet in de la real Academia de la historia 139, 1956, p.p 463 .

(٤) ارشيبالد لويس: القوى البحرية ، ص ١٢٩ ، ٣٩١ ، أمين الطيبي ، مرجع سابق ، ص ١٣٩ ، عبد العزيز العلوي: مرجع سابق ، ص ٢٧٦ .

(٥) محمد عبد الله عنان: رواية مصرية عن المغرب والأندلس ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد الخامس عشر ، سنة ١٩٧٠ ، ص ٩٩ .

اتخذ الجنوبيون أسواق مدينة فاس منفذاً لبيع أقمشة جنوه والجلود والمصنوعات الجلدية والصوف والشب والورق ، وكان تجار مرسلها يصدرون السلاح والزرايبى والشمع والمعادن ويعودوا بالفضة والذهب والحبوب الزراعية .^(١)

عمل عدد من التجار القطالونين فى تجارة العبيد والتي يحصلون عليها من أسواق فاس.^(٢) ومن السلع التي وجدت بأسواق مدينة فاس الشمع والجد والكمون والسكر والحريير المصنوع من فرنسا ، ومن إيطاليا ومرسليا ومالقة الفخار المذهب الفاخر .^(٣)

ظل التجار النصارى يحملون مختلف البضائع إلى أسواق مدينة فاس ، مثل الودع ومصنوعات الزجاج والعطور ، وخصوصا لبان جاوة والمسك فمدينة البندقية كانت تصنع الأقذاح والكؤوس واللؤلؤ والحلي ومصنوعات من عظام الحيوانات ، وبعض المواد الصباغية الخام وقطع الحديد الممغنط .^(٤)

حصل التجار البنادقة على الدينارات الذهبية والنحاسية مما جعلهم يقوموا ببيع المنتجات الواردة من الشرق من بهارات وأحجار الشبة ، فجنبت البضائع الفاسية تجار البلاط الأرغوانى من الجلد المصنع والخام والأصداف ، والحبوب لانخفاض أسعارها .^(٥)

(١) الإدريسي: مصدر سابق ، ص ١٧٦ ، أمين الطيبي: مرجع سابق ، ص ١٣٩ . إبراهيم حركات : مرجع سابق ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٢) M.L. Demas Latrie : op, cit, p.116 .

(٣) عبد الهادي التازى : التاريخ الدبلوماسي ، ص ١٩٢ . ريكاردو: مرجع سابق ، ص ٢٤٦ : ٢٤٩ . هايد : مرجع سابق ، ص ٢٢٢

Dafourcq: lavia catalane, p.p 68 . M.L. Demas Latrie: op, Cit, P.215.

(٤) عبد العزيز العلوي : مرجع سابق ، ص ٢٦٦ ، ٢٦٨ . مصطفى نشاط: ملاحظات حول المعامدات التجارية، ص ١٦٢ .

(٥) مصطفى نشاط: ملاحظات حول المعامدات التجارية ، ص ١٦٢ .

٦- أسواق فاس وأسواق السودان الغربي

أصبحت تجارة القوافل عبر الصحراء من أهم ما تميزت به التجارة بالمغرب الأقصى خلال العصر المريني ، وأصبح السودان الغربي ^(١) مقصدا لهذه التجارة وخاصة مدينة مالي التي أصبحت إمبراطورية كبرى ، بعد أن استطاع سندياتا كاتيا (١٢٣٠-١٢٥٥م / ٦٣٠-٦٥٥هـ) توحيد السودان الغربي وإقامة إمبراطورية شاسعة ضمت كل الممالك التي قامت على انقاض مملكة غانا عام ١٢٤٠م / ٦٤٠هـ ، فأصبحت بمثابة ممرات للقوافل التجارية . ^(٢)

ساعدت العلاقات التجارية بين فاس والسودان الغربي على نشر الصلات الثقافية فلا يستبعد أن يكون العلماء قد مارسوا التجارة في بلد الذهب فقد ساهم العلماء بفاس في العلاقات التجارية . ^(٣)

كانت القافلة التجارية المغربية والتي تخرج من مدينة فاس ، تسلك الطريق المسمى بطريق السلطان وهو طريق فاس سجماسة عبر صفرو ، وكانت تصلها بعد عشرة أيام وبوصول القوافل إلى سجماسة تعبر إلى تغازة وولاتة ومنها إلى مدن السودان الغربي ويعتبر هذا الطريق من أهم الطرق التجارية المغربية حيث ربط بين طرق التجارة الداخلية والخارجية للمغرب . ^(٤)

(١) السودان الغربي: أطلق الجغرافيون والمؤرخون والرحالة العرب في العصور الوسطى على المناطق الواقعة فيما وراء الصحراء الكبرى وشمال خط الاستواء ، والممتدة من البحر الأحمر شرقا حتى المحيط الأطلسي غربا اسم السودان ، وعرفوا السودان الغربي بأنه المناطق الواقعة بين حوض نهري السنغال والحوض الأوسط لنهر النيجر والمجرى الأعلى لنهر فولتا والحوض والساحل. للمزيد انظر ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ ١٢ ، ص ٤١٧ ، بوفيل تجارة للذهب وسكان للمغرب الكبير، نقله للعربية أبو لقمة وآخرون ، ط ٢ ، بنغازي ، ١٩٨٨ ، ص ٢٩ ، أمين توفيق الطيبي : الحضارة العربية الإسلامية وأثرها الإيجابي في السودان الغربي في القرون الوسطى ، مجلة البحوث التاريخية ، العدد الثاني ، ١٩٨٠ ص ٢٥٩ . الهادي المبروك الدالي : التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٩ ، ص ١٧ .

(٢) العمري: مصدر سابق ، ص ٦٠ ، قاسم الزهيري: الممالك الإسلامية القديمة في إفريقيا مملكة مالي ، مجلة دعوة الحق ، العدد الثامن والتاسع ، السنة الخامسة ، ١٩٦٢ ، ص ٦٦ . فيج جي دي : تاريخ غرب أفريقيا ، ترجمة وتعليق السيد يوسف نصر ، دار المعارف ط ١ ، ١٩٨٢ ، ص ١٩ .

(٣) عبد العزيز العلوي: فاس والتجارة ، ص ٧٨ .

(٤) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ص ٣٠٥ ، عبد العزيز العلوي: علاقة التجارة الصحراوية بالتجارة البحرية ، ص ٢٦٤ لوطورنو روجية : فاس قبل الحماية ، ص ٤١٨ .

Mauny, (R): Tableau géographique de l'Ouest africain, d'après les sources écrites, la Tradition archéologique, Dakar, IFAN, 1961, P. 428-437 .

فتحكمت مدينة فاس في طريقتين تجاريين دوليين وكان أهمهم الطريق الذي يتوغل في الصحراء جنوبا الى السودان الغربى ، فالتجارة الصحراوية ارتبطت بتجمعات حضرية بفاس . (١)

يتضح لنا من خلال رحلة ابن بطوطة للسودان الغربى ان القافلة التجارية المتجهة إلى السودان الغربى تعتمد في تحركاتها على (الكشاف) والدليل ، فالكشاف يقوم بإرسال الرسل للبدن التى يمرؤ بها لكى يقوموا باستقبالهم وتجهيز الماء والطعام ويحصل الكشاف على مائة متقال من الذهب . (٢) أما الدليل فكان عارف بأسرار المسالك الصحراوية وذلك لكثرة تروده عليها . (٣)

ويوضح لنا ابن بطوطة أن الدليل الذى كان برحلته لمالى كان أعور العين الواحدة مريض الثانية وهو أعرف الناس بالطريق . (٤) احتفظت السلطة المرينية بأسرار التجارة القوافلية واعتبرته سراً من أسرارها . (٥)

واجهت القوافل التجارية الكثير من الصعوبات والمشاكل ومنها قلة المياه ووهج الحر والرياح المفاجئة إلى جانب قاطعوا الطرق . (٦) ورغم ذلك النشاط التجارى بين فاس والسودان الغربى كان نشيطا ومستمرًا .

كانت للقافلة التجارية مواعيد محددة من السنة حيث يكون الجو ملائما لهذه الرحلات وغالبا تكون فى فصل الخريف . (٧)

(١) عبد العزيز العلوي : فاس والتجارة ، ص ٨١ .

(٢) ابن بطوطة: مصدر سابق ، ص ٧٧٣-٧٧٥ ، ماجدة كريمي: العلاقات التجارية بين المغرب والسودان على عهد المرينين دعوة الحق العدد ٢٦٩، إبريل مايو ١٩٨٨، ص ٢٥٢. حسن حافظي علوي: التبادل التجارى بين المغرب الأقصى والسودان الغربى فى العصر الوسيط ، مجلة المناهل ، العدد ٣٣، منشورات المملكة المغربية ، ص ٢٥١ .

(٣) ابن خلدون: مصدر سابق ج٧ ، ص ٧٧ ، Mauny: Tableau ge'ograPhique, op,p.401

(٤) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٧٧٥ .

(٥) مصطفى نشاط : إطلالات ، ص ١٠٩ .

(٦) ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص ١١٣ ، أبو الفداء: مصدر سابق ، ص ١٣٧ .

(٧) ابن بطوطة: نفسه ص ٧٧٤ ، حسن حفظى علوي: مرجع سابق ، ص ٢٥١ .

ويرى بعض المستشرقين ان القافلة كانت تنطلق في فترة الشتاء .^(١) ويذكر لنا الوزان أن الطريق من فاس لتتبكت^(٢) كان يوجد به عدد من الآبار ومكسوة بجلود الإبل وهذا الطريق للسفر شتاءً فقط حيث يكثر به الرياح التي كانت تحمل معها الأتربة فتعمل على تغطية الآبار .^(٣)

لقد كانت القوافل تتجمع بمدينة فاس قبل أن تتحرك إلى أي مكان بالمغرب الأقصى متجهة إلى السودان الغربي ، وكانوا يفضلوا طريق فاس سجماسة سواء للتجارة أو لموسم الحج .^(٤)

تميزت مالي بدور تجاري مهم حيث أنها كانت بمثابة سوق كبير يستقبل الذهب من مختلف مناجمه واستقبال القوافل التجارية الآتية من شمال المغرب .^(٥)

سيطرت مدينة فاس على التجارة الدولية التي تمتد إلى جنوبي الصحراء ، بحكم أنها قاعدة وحاضرة للمغرب الأقصى في العصر المريني .^(٦)

و سيطرت مالي على تجارة السودان الغربي حيث يصفها كعت " كانت مملكة مالي غنية جداً ولم يكن هناك أجمل منها في العالم بأسره سوى الشام " .^(٧)

ومن أهم ما يميز العلاقات بين فاس وإمبراطورية مالي هو اهتمام الحكام بطرق التجارة وتأمين المسالك ، وإمداد القوافل بالمياه عن طريق حفر الآبار على طول الطريق ، وفي سبيل ذلك يتقاضوا ضريبة ربع دينار على كل حمولة للجمل الواحد .^(٨)

Mauny : op ,cit 401.

(١)

(٢) تتبكت: تقع على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى ، منحني نهر النيجر ويكثر بها التجار والحوانيت مما جعلها أفضل المراكز التجارية بالسودان الغربي. للمزيد انظر الوزان: مصدر سابق، جـ ٢، ص ١٦٥، مارمول: مصدر سابق، جـ ٣، ص ٢٠١.

(٣) الوزان: مصدر سابق ، جـ ١، ص ٧٥ ، ٧٦ .

⁴ Brignon (J):histore du maroc , ca sa blanca, 1974,p,185.

(٥) ماجدة كريمي: مرجع سابق ، ص ١٩٥ .

(٦) الحموي: معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٢٢٠ ، الحميري: مصدر سابق ، ص ٤٣٤ .

(٧) محمود كعت : تاريخ الفتن ، نشر . هوانس ، وبولافرس ، باريس ، ١٩١٣ ، ص ٦٧ .

(٨) الوزان : مصدر سابق جـ ١، ص ٧٦ ، جـ ٢، ص ١١٢ .

ارتبطت أسواق مدينة فاس بأسواق السودان الغربي ارتباطا وثيقا ، وذلك لوجود علاقات للود والمجاملة منذ أيام السلطان أبى سعيد عثمان (٧١٠-٧٣١هـ / ١٣١٠-١٣٣١م) مع السلطان منسا موسى * . (١)

توافقت السفارات والهدايا بين البلاط المرينى وبين بلاط نيانى فى عهد السلطان أبى الحسن المرينى (٧٣١-٧٥٢هـ / ١٣٣١-١٣٥١م) ومنسا موسى ، و ذلك بمناسبة فتح أبى الحسن المرينى لمدينة تلمسان . (٢) رأس ابن بطوطة الوفد المرسل من السلطان أبى عنان المرينى (٧٤٩ - ٧٥٩هـ / ١٣٤٨-١٣٥٨م) إلى إمبراطورية مالى فى عهد السلطان منسا سليمان . (٣) قام السلطان منسا جاطة بارسال هدية فى عام ٧٦٢هـ للسلطان أبى سالم المرينى (٧٦٠-٧٦٢هـ / ١٣٥٩-١٣٦١م) ومن ضمنها زرافة جميلة . (٤) وفى عهد مارى جاطة سافر إلى مالى آلاف التجار من المغرب الأقصى عن طريق الصحراء . (٥)

كانت مدينة فاس دائما فى حاجة إلى كميات كبيرة من السلع التجارية من ذهب لسك العملات ، ورقيق للبلاط السلطانى وعاج وريش النعام ، فالمدينة كانت تحتوى على عدد كبير من

* منسا موسى : هو موسى بن أبى بكر بن سالم التكرورى ، ويلقب بالأشراف وكلمة منسا معناها الملك أو السلطان ، وكان من أعظم ملوك السودان الغربى وأوسعهم بلادا وأكثرهم عسكريا وأعظمهم مالا وأقهرهم للأعداء وأقدرهم على إقاضة النعماء . للمزيد انظر العمري : مسالك الأبصار ، ج٢ ، ص ٤٩٤ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص ٢٩٣ .

(١) السلاوى : مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ١٥٢ ، إبراهيم حركات : سياسة المغرب الخارجية فى عهد بني مرين ، دعوة الحق ، العدد السابع ، السنة السابعة ، أبريل ١٩٦٤ / ذو الحجة ١٣٨٣هـ ، ص ٤٧ .

(٢) ابن خلدون : مصدر سابق ج٧ ، ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، السلاوى : مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ١٥١ . إبراهيم حركات : سياسة المغرب ، ص ٤٧ ، محمد عبد العزيز الدباغ : بنو مرين من خلال رحلة ابن بطوطة ، دعوة الحق ، العدد السابع ، السنة الخامسة ، ١٩٦٢ ، ص ٣٩ . قاسم الزهيري : مرجع سابق ، ص ٦٧ .

(٣) بوفيل : مرجع سابق ، ص ١٦٦ .

(٤) ابن خلدون : مصدر سابق ، ج ٧ ، ص ٢٥٤ . مصطفى نشاط : مرجع سابق ، ص ٨٣ .

(٥) عثمان براىما بارى : جذور الحضارة الإسلامية فى الغرب الافريقى ، دار الأمين للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ص ٤١ .

السكان فوصل عددهم مائة ألف نسمة في الفترة ما بين القرنين العاشر والسادس عشر الميلادي / الرابع والعاشر الهجري .^(١)

ومن السلع الهامة التي كانت تأتي إلى أسواق مدينة فاس ، التبر والمسك والعنبر والجلد والعاج والجوز والشب والأسواط التي تسمى بالسراقيات ، من خلال القوافل التجارية المارة بسجلماسة أو عن طريق القوافل الآتية من مدينة ونقارة .^(٢)

كان عدد كبير من تجار فاس يترددون على مدينة ولاته والتي كانت أكبر المدن التجارية في السودان الغربي خلال القرنين الثالث والرابع عشر الميلادي / السابع والثامن عشر الهجري ، حيث تمتعت بمكانة تجارية مرموقة .^(٣)

ارتبط النشاط التجاري الصحراوي بالذهب والملح والرقيق والعاج ، وجلد النمط فهو من أفضل أنواع الجلود والحناء ، والذهب الذي كانت مدينة فاس تستخدمه في صنع بعض المنسوجات المطعمة به ، والأساور والأقراط التي يتم تصديرها مرة أخرى للسودان الغربي .^(٤)

(١) الإدريسي: مصدر سابق، ص ٢٤٦، التالي: مصدر سابق ، ص ٢٨٢ روجيه لوطونو: فاس قبل الحماية ، ص ٣٨٦ . عبد العزيز العلوي: مرجع سابق ، ص ٧٩ ، Brignon (J): op. cit 185.

(٢) البكري: مصدر سابق ، ص ١٥٩ ، الإدريسي: مصدر سابق ، ص ٢٥ ، الاستبصار: ص ٢١٤ ، القزويني: مصدر سابق ، ص ٢٥ ، ابن الخطيب : الإحاطة جـ ٢ ، ص ١٩٢ ، عبد العزيز العلوي : فاس والتجارة الصحراوية ص ٨٩ ، Mauny: op. cit ,376

ونقارة : في ارض السودان قريبة من غانة ، وهي جزيرة يحيط بها النيل من كل جهة ويتصرفون في التجارات والبضائع ، يزرعون الذرة وشجر التوت والتين بكثرة للمزيد انظر ، الحميري : مصدر سابق ، ص ٦١١ .

(٣) السعدي: تاريخ السودان ، نشر هوداس وبنوا، باريس ١٩٨١ ، ص ٢١ ، ماجدة كريمي: مرجع سابق، ص ١٩٢

(٤) القزويني : مصدر سابق ، ص ٢٦ ، ابن سعيد : بسط الارض ، ص ٤٧ ، العمري : مصدر سابق ، ص ٧٤ ، ٢٠٢ ، القلقشندي: مصدر سابق جـ ٥ ص ٢٩ ، التالي : مصدر سابق ، ص ٢٨٢ ، الوزان : مصدر سابق جـ ٢ ، ص ٢٦٣ ، مارمول : مصدر سابق ، ص ١٧٦ ، ١٧٧ ، المقرئ : مصدر سابق ، ص ٢٠٥ ، أحمد الشكري: مملكة غانة وعلاقتها بالحركة المرابطية منشورات معهد الدراسات الإفريقية ، ١٩٩٧ ، ص ٢٨ ، ماجدة كريمي: مرجع سابق ، ص ٢٥٢-٢٥٤ .

كانت مدينة جاو من أهم المراكز الخاصة بتجارة الملح والعاج المستخدم في صناعة الآواني ومناير المساجد وتزين الخيول ، فكانت سوقا رائجا لتجارة الخيول ، وكانت مدينة جنى^(١) ملتقى أرباب الملح من ونقارة والذهب من معدن بيتو ، ويرجع ذلك بفضل وقوعها على جزيرة فتوافر بها الأمن والهدوء اللازمين للنشاط التجارى وساعد على ذلك أيضا اهتمام حكام مالى بها ، فأصبحت من أكبر الأسواق التجارية بالعالم الاسلامى لاستقبال البضائع المغربية القادمة عبر الصحراء ، وبوجود القرصنة تحول الطريق إلى مدينة تنبكت .^(٢)

اشتهرت مدينة تكدا بالنحاس الذى يستخرج من صحراء أكاديس ، وكان هذا المعدن يحظى باهتمام تجار مدينة فاس لسد حاجاتها منه لاستخدامه في الصناعات النحاسية.^(٣)

ومن السلع الهامة بالسودان الغربى العبيد فكان تجار مدينة فاس يجلبون أعدادا كبيرة وكانت مدينة تنبكت أهم مراكز لبيع العبيد ، فوجد بفاس سوق الخضر لبيع وشراء العبيد ومنازل متخصصة لبيع العبيد فاستخدم الجوارى وفي القصور المريضة وعملوا في الطبخ ، والبعض الآخر انجبوا من السلاطين المرينيين أبناء ورثوا الحكم كأبي الحسن المريني.^(٤)

(١) جنى: أسست مدينة جنى حوالي ٨٠٠ ميلاديا ، تقع على خط عرض ٣٥-٣١ شمالا وخط طول ٩ شرقي جرينتش، للمزيد انظر دائرة المعارف الإسلامية ، مادة جنى ، مج ٥ ، ص ١٤٥ .

(٢) الوزان: مصدر سابق ، ص ٢٦٣ ، السعدي : مصدر سابق ، ص ١١ ، محمود كعت : مصدر سابق، ص

Bovill: The golden trade of The moors p.102 : Mauny: op ,cit.p.382.١٧٥
Djibril Tamsir Niane:Le Soudan Occidental Au temps des grands Empires , XI^e - XVI^e si^ecle . paris , 1965 .p.p 64,65.

(٣) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٧٩٩ ، زاهر رياض : الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة للذهب عبر الصحراء الكبرى ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ١٢٤ ، محمد الغربي : بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ، نشأته وآثاره ، إشراف نقولا زيادة ، مؤسسة الفليح للطباعة والنشر ، الكويت ، الجزء الأول ، ص ٤٨ ، فيج جى دى : مرجع سابق ، ص ٤٠ ، ماجدة كريمي : مرجع سابق، ص ٢٥٣، ١٩٦٠ . بوفيل : مرجع سابق ، ص ١٦٦ . عبد الهادي لتازي:التاريخ الدبلوماسي ، ج ٧ ، ص ٥٢ .

(٤) ابن الخطيب : معيار الاختيار ، ص ١٧٦ ، ابن خلدون :مصدر سابق ج٧ ص ٢٠٥ ، الوزان: مصدر سابق، ص ٢٨٨ ، مارمول : مصدر سابق ص ١٣٥ ، السلاوى: مصدر سابق ج٣ ، ص ٥٥ ، ٥٦ ، ماجدة كريمي : مرجع سابق ، ص ١٩٩ .

فكانت القافلة التجارية التي عاد فيها ابن بطوطة تضم ستمائة امرأة من الرقيق ، من مدينة تكدا وتنبتكت التي اشتهرا بأهم مراكز العبيد التي كان يصل أعداد كبيرة منه لمدينة فاس.^(١)

فوجد بمدينة فاس كمية كبيرة من العبيد مابين خمسة عشر وعشرين عبدا مقابل فرس واحد ، وإن دل ذلك فلا يدل إلا على الغلاء الباهظ الذي انتهت اليه هذه السلعة ، وكان السبب المباشر لغلائها هو انعدامها بالسودان الغربي .^(٢)

استخدم سلاطين بنو مرين الخصيان في قصورهم بمدينة فاس الجديد وأصبحوا حرسا خاصا لهم ، واعتقوا البعض الآخر مثل السعود بن حرباش الهاشمي وعينه ابوبكر بن عبدالحق (٦٤٦-٦٥٦هـ / ١٢٤٦-١٢٥٦م) والبا على مدينة فاس ٦٤٩هـ / ١٢٤٩م .^(٣)

لستطاع ملوك مالي تحقيق أرباح وفيرة من خلال الرسوم التي فرضوها على العمليات التجارية الآتية من المغرب ومنها المنسوجات الحريرية المصبوغة ، والخيول التي كانت غالية الثمن .^(٤)

ومن السلع التي وصلت من مدينة فاس إلى السودان الغربي ، خشب الصنوبر وخشب الأرز وخرز الزجاج من أساور وخواتيم ، والنحاس المسبوك والملون والصناعات النحاسية ، والآلات الحديدية والأحجار الكريمة والودع والملح والبخور والأصداق والسلع العطرية والقرنفل وتاسرغيت ، والحناء والتالكوت .^(٥)

(١) ابن بطوطة: نفس الصفحة ، بوفيل: مرجع سابق ، ص ١٧٢ ، زاهر رياض: مرجع سابق ، ص ١٢٩ .

(٢) الوزان: مصدر سابق ، ص ١٧٠ ، ماجدة كريمة: مرجع سابق ، ص ٢٢٠ .

(٣) ابن خلدون: نفس المصدر والجزء ، ص ١٩٩ ، السلاوي: مصدر سابق جـ ٣ ، ص ٨٥ ، الوزان: المصدر السابق ، ص ١٦٦ ، مارمول: مصدر سابق ص ١٦٥-١٧٣ .

(٤) الإدريسي: مصدر سابق ، ص ٧ ، الاستبصار: مصدر سابق ، ص ٢٢٠ ، الوزان: مصدر سابق جـ ٢ ، ص ١٦٩ ، ١٧٧ ، مارمول: مصدر سابق جـ ٣ ، ص ٥٤١ ،

(٥) الإدريسي: نفسه ص ٣٧ ، ٤٢ ، القزويني: مصدر سابق ، ص ١٩ ، الاستبصار: نفس المصدر ، ص ٢٢٢ ،

أبو القدا: المختصر ، ص ٩٦ ، التادلي: مصدر سابق ، ص ٢٨٢ ، ابن بطوطة: مصدر سابق ، ص ٧٧٩ .

تميزت مدينة فاس بالمنسوجات وصناعة النسيج والتي كانت تمد بيهم التجارة الصحراوية ، فكانت من أهم المدن المغربية في صناعة المنسوجات سواء المنسوجات المطرزة و الصوفية والقطنية والكتانية والحريية . (١)

ويوضح لنا الوزان أن المنسوجات القطنية والأقمشة المجلوبة من مدينة فاس توجد بكثرة في مدينة تنبكت . (٢)

لاقت الصناعات الحرفية رواجاً كبيراً بالسودان الغربي ، حيث كان في حاجة شديدة إليها ومنها الأواني والحلي النحاسية والأسلحة . (٣) والمصنوعات الحديدية كالسكاكين وركاب الخيول والفخار الفاسي والأدوات والحلي الزجاجية . (٤)

وكانت للمنتجات الزراعية سوقاً رائجا بالسودان الغربي حيث كانت القوافل التجارية تحمل التين المجفف واللزبيب، والحبوب من قمح وشعير والذرة والنباتات المعطرة للمشروبات. (٥)

وكان لليهود دور كبير في التجارة مع السودان الغربي وكان لهم بمدينة فاس أسواق ومصانع ومكانة تجارية في العهد المريني ، حيث خصص لهم الأمير أبو يوسف يعقوب حي الملاح بالقرب من القصبة التي بها حاكم مدينة فاس . (٦) عمل اليهود على تنمية التجارة

(١) الحميري : مصدر سابق ، ص ١٢٩ ، عبد العزيز العلوي : صناعة النسيج ، ص ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٥ ، فاس والتجارة ، ص ٢٦٥ ، Brignon (J):op ,cit .p 155 .

(٢) الوزان: مصدر سابق، جـ٢، ص ١٦٥ .

(٣) الإدريسي : مصدر سابق ، ص ٢٢٢ ، ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص ٤٨ ، الوزان : مصدر سابق ، ص ٢٣٤ ، عبد العزيز العلوي : فاس والتجارة ص ٨٦ ، إبراهيم حركات : طبيعة العلاقات ، ص ١٨٩ .

(٤) الجزفاني : مصدر سابق ، ص ٤٤ ، الحميري : مصدر سابق ، ص ٤٦ ، ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٨٠ . Mauny : op .cit , p .374 .

(٥) أبو ذؤيب : مرجع سابق، ص ١٣٤ ، ماجدة كريمة : مرجع سابق ، ص ٢٣٥ . محمد الطويل : الفلاحة ، ص ١٧٦ .

6- Corcs Davis :jews of morocco under the marinade , The Jewish quarterly Review, IV .55, 1964 -1965 , pp 54:65 .

الصحراوية بطريق مباشر كتجار، وبطريقة غير مباشرة بالعمل كحرفين في مناجم النحاس والفضة. ^(١)

وبجانب اليهود وجد وكلاء تجارين من جنوة والبندقية للحصول على سلع السودان الغربى الآتية إلى أسواق مدينة فاس . ^(٢)

عمل عدد كبير من اليهود بالتجارة بمدينة فاس تحت حكم المرينيين فكانوا محتكرين صناعة الذهب والصياغة ، فكانوا يصدروا العسل والشمع والصوف والجلود ، وخير دليل على قيامهم بالعمل فى التجارة الصحراوية هى قيام الجالية اليهودية بالسودان الغربى برسم الخرائط التى وضحت معالم وثروات السودان الغربى ، منهم أبراهام كركس وانجلودوليس . ^(٣)

وبذلك قامت أسواق مدينة فاس بدور كبير فى عملية التبادل التجارى بين أسواق المغرب كافة والسودان الغربى ، والأندلس ومصر والحجاز حيث ربطت العلاقات الدبلوماسية بين سلاطين بنى مرين وسائر الدول الأخرى بالعلاقات التجارية .

^(١) Rosinberger : Les vieilles exploitations minières ler pàoTie, No17,p,75.
Brignon (J):op ,cit .p 155 .

^(٢) ابن الحكيم : مصدر سابق ، ص ١١٨ ، إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ ج٢ ، ص ٢٤٦ .

^(٣) زاهر رياض : مرجع سابق ، ص ١٣٨ .